مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: صباح الخير

التاريخ : ١٩٩٩/٧/٢٩

حوارات السادات التليفونية

البيضة والحجر وفراخ النمسا!

في كل الحالات كان
السادات مختلفا ومتميزا
ويستولي على
سامعيه ومشاهديه!
كان السادات متحدثا
ومتكلما له حضور
مؤثر وكاريزما
تلفت الانتباه!
إن السادات الذى كان
يتحدث أمام الملايين
وعلى الهواء مباشرة ليس
هو نفسه السادات
الذى يتحدث في
اجتماع مغلق مع
مجلس وزرائه مثلا
أو مع رئيس تحرير.
والسادات الذى يتحدث
مع صحافة العالم ليس هو
نفسه الذى يتحدث مع
صحافة مصر! والسادات
الذى يتحدث تليفزيونيا
بالساعات ليس هو السادات
الذى يتحدث تليفونيا
وبالساعات أيضا!

فى حوارات السادات التليفونية يتحدث على راحته تماما فلا أضواء ولا تصفيق ولاعيون الملايين تتابعه وترصد إيماءاته ولفتاته أو كلمة أو جملة ربما تفلت منه فتقيم الدنيا ولا تقعدها!

وبعيدا عن السياسة والكلام الكبير ماذا كان يقول السادات فى حواراته التليفونية؟ وكيف يمكن الاطلاع على نصوص هذه المكالمات؟!

ذات مرة كتب الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل يقول: من حسن الحظ أن الذين كانت فى يدهم مفاتيح القوة والسلطة كانوا يضعون تليفون السادات تحت المراقبة كوسيلة من وسائل مراقبة الرئيس أنور السادات نفسه!

كان هيكل يقصد بالتحديد مجموعة ١٥ مايو(على صبرى، سامى شرف، الفريق أول محمد فوزى، شعراوى جمعة.. إلخ) ويضيف مؤكدا:« لابد أن أعترف بالفضل لهم، ومع أنى كنت أحتفظ فى مذكراتى بإشارات سريعة إلى الأحاديث التليفونية الهامة فإن العثور على التسجيلات فيما بعد أعاد رسم الصور أمامى بجميع تفصيلاتها.

فى ٣ مارس سنة ٧١ كان السادات قد عاد من زيارة سرية هامة لموسكو لم يكن يعلم بأمرها أغلب قيادات الدولة حتى رئيس الوزراء وقتها د. محمود فوزى الذى هدد بالاستقالة وكان منطقه ـ حسب كلام هيكل ـ إذا لم يكن رئيس الوزراء موضع ثقة لمعرفة السر فإن الواجب تجاه المسئوليات العامة يقتضى مجىء رئيس وزراء يتمتع بقدر أكبر من الثقة!

وعقب عودة السادات من موسكو اتصل بعد ظهر ٣ مارس بالأستاذ هيكل تليفونيا، وكان نص الحديث مسجلا ضمن عدة ملفات لتسجيلات تليفونه يصل عدد صفحاتها إلى(٣٢١٩ صفحة) وفى كتابه« أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة» يورد هيكل حوار السادات التليفونى معه وكما تم تسجيله ممن كانت فى يدهم مفاتيح القوة والسلطة كما يلى:

الرئيس السادات: أهلا يا محمد.. إزى الحال؟

هيكل: الحمد لله.. حمدا لله على السلامة. أنت أخبارك إيه؟

الرئيس السادات: أنا بقى لى يومين ماقريتش أخبار أنا من يوم ما مشيت ماخدناش جرايد الصبح وامبارح بالليل جبنا متاخر فمعنديش فكرة الدنيا فيها إيه!

هيكل: بقى ده كلام؟

الرئيس السادات: والله.

هيكل: بالطريقة دى بتضحك علىّ!

الرئيس السادات: وحياة ربنا يا محمد ماقريت حاجة خالص!

هيكل: طب قل لى أخبارك إيه!

الرئيس السادات: يعنى.. إيه أخبار الدنيا أولا!

هيكل: لا.. إيه الأخبار اللى معاك، الأخبار عندك أنت(ضحك) بقى ده معقول؟

الرئيس السادات: اللى عندى أنا يعنى!

هيكل: أه.

الرئيس السادات: يعنى أنت عارف الله يرحمه(يقصد الرئيس عبد الناصر) هم كانوا إيه بيغيظوه ويفلقوه، قمت أنا رحت ما خلتش لهم، لعنت سنسفيل أبوهم - يقصد السوفييت - وحطيت لهم صورتهم بصراحة قدامهم.. و...و..و يعنى تسع ساعات يامحمد، ثلاث ساعات ونصف فى أول يوم وخمس ساعات ونصف فى تانى يوم، ما فى غير الردح وصلت معاهم للردح!

هيكل: يا نهار!

الرئيس السادات: والله يا محمد!

هيكل: وبعدين؟!

الرئيس السادات: وبعدين خدنا شوية حاجات مش بطالة!

ثم راح السادات يروى تفاصيل أكثر فقال:

أنا اشتبكت مع«كوسيجن» (رئيس الوزراء السوفيتى وقتها) اشتباك أسود واشتبكت مع«جريتشكو»(وزير الدفاع) قلت له: أنت أصل لو انضربت لك مدرسة وانضرب لك مصنع مكنتش تتكلم الكلام اللى أنت بتقوله. ده كلام مش كلام عسكريين ده«قفل» بريجنيف بقى كان ممتاز يا محمد أكثر من ممتاز وبعدين ميل على واحنا خارجين قال لى: علىّ مهلك علينا شوية إحنا كل اللى أنت عايزه هانبعتهولك!

هيكل: إيه ده، دمهم تقيل قوى!

الرئيس السادات: لكن فى النهاية يعنى الواحد كان ممكن يقلب الترابيزة على دماغهم!

هيكل: لا مفيش داعى لا!

ويرصد هيكل ملمحا هاما فى شخصية السادات فيقول:« كان هناك معيار لحالته النفسية يعكس نفسه فى الطريقة التى يلقى بها تحية الصباح أو يردها، وحينما يكون راضيا وسعيدا فإن تحية الصباح عنده كانت تتراوح ما بين« صباح الفل» أو صباح الورد أو صباح القشطة، و حين تستبد به المشاكل والهواجس فإن تحية الصباح عنده كانت تتراوح ما بين«صباح الخير»و «صباح النور» وأحيانا يبلغ السوء مداه فإذا هو يرد تحية صباح الخير قائلا:« ومن أين ياتى الخير. هذا صباح الزفت والقطران».

وفى نص تسجيل حرفى لحوار آخر بين السادات وهيكل يوم ٥ أبريل ٧١ سوف تجد للسادات ملامح أخرى لشخصية ابن البلد، وجاء الحوار كما يلى:

الرئيس السادات: يا باى يا محمد، بس لو يصدقوا الأمريكان.. همّا غايظنى، وبعدين النهارده كان يوم صعب كله سفراء، شفت سفير إيران، بعثت له للشاه يعنى النهارده قلت له يتحرك تانى، وهو كان اتحرك فى المرة اللى فاتت، قلت له لا أتحرك تانى!

هيكل: بعثت له شعرا والا نثرا!

الرئيس السادات: حا أعمل إيه بقى يا محمد؟ قلت للسفير النهارده أنا حابعت للشاه رسالة نصها الفوقانى عربى ونصها التحتانى فارسى علامة على أننا حضارة واحدة ومصير واحد، بعد كده جه السفير الإنجليزى كان بيسلم رسالة من هيث!

وبعدين جالى السفير الأفغانى كان جايب عينات رخام من الضريح بتاع«جمال الدين الأفغانى» ده ضريح صممه ظاهر شاه - ملك أفغانستان وقتها بنفسه وأنا سنة ١٩٥٥ هناك الملك ورانى التصميم اللى هو عمله وقال لى حنفذه، واتنفذ فبعتلى بقى صورة الموقع كله الشارع اللى قدام الضريح مباشرة وفى وسط جامعة كابول سموه شارع جمال عبد الناصر، الرخام الأفغانى طبعا أنت عارف أحسن رخام

فى الحالم. بعتولى النهارده ١٥ عينة وبيقولوا بقى إيه؟ إنهم عاوزين يشتركوا فى ضريح الريس برخام أفغانى فبعتوا العينات. فانا قلت للجماعة ابعتوه للست والولاد يشوفوه (يقصد حرم الرئيس عبد الناصر وأولاده).

● هيكل: طيب والله دى حاجة ظريفة، رخام، وجوابات نصفها عربى ونصفها فارسى.

الرئيس السادات: يعنى حعمل إيه يا محمد. دانا بالعب بالبيضة والحجر.

إن تعليق الأستاذ هيكل على حديث السادات التليفونى وقوله والله دى حاجة ظريفة رخام وجوابات نصفها عربى ونصفها فارسى وراءها قصة كثيرة ودراما تستحق القراءة!

إن السادات كما يؤكد دوسى صدرى تعلم اللغة الفارسية وكان يتلقى دروسها من أحد محررى صحيفة الجمهورية وخاطب شاه إيران فى أول لقاء له فى اجتماع المؤتمر الإسلامى فى الرباط باللغة الفارسية واستشهد بقول فارسى مأثور وكان السادات فى ذلك المؤتمر ممثلا لمصر نيابة عن الرئيس جمال عبد الناصر وكانت العلاقات سيئة بين مصر وإيران!

لقد كان جلالة الملك الحسن الثانى ملك المغرب أحد شهود تلك الواقعة المثيرة، وقد رواها فى مذكراته ذاكرة ملك، حيث يقول:

« لم تكن للسادات ملكة الخطابة التى كان يتميز بها جمال عبد الناصر غير أنه حينما كان يتناول الكلمة فى مؤتمر من المؤتمرات كان الصمت يخيم على القاعة وينصت إليه الحضور حتى فى حالة عدم استيعاب الحضور ما كان يقوله دائما. وأذكر على سبيل المثال ما حدث سنة ١٩٦٩ خلال انعقاد مؤتمر القمة الإسلامى ذلك أن مشادة كلامية وقعت بين أنور السادات وشاه إيران وكان السادات قد تطرق إلى العلاقات التى كانت تربط إيران مع إسرائيل على شكل قنصليات اقتصادية وتجارية.

ورد عليه الشاه الذى كان رجلا حساسا وصعب المراس بجفاء ولهجة قاسية ، وأدرك السادات أنه ذهب إلى حد بعيد، فأخذ الكلمة من جديد وأثار الحديث عن أعمال والد الشاه وأعمال الشاه نفسه لصالح القضية العربية.

وختم تدخله مستشهدا ببيتين من الشعر الفارسى نطقهما باللغة الفارسية.

يضيف الملك الحسن: وحينما التفت بالشاه فيما بعد توجهت إليه بالسؤال التالى:

ماذا كان يا صديقى العزيز يود السادات قوله فى البيتين من الشعر الفارسى؟!

فكان جوابه(اى الشاه) كما يلى:

اسمعوا إن الامر فى غاية البساطة، فإنا أنا فارسى ولم أفهم لغتى، أو ان ما نحاق به السادات لم يكن لغة فارسية!

ويختتم الملك الحسن شهادته قائلا: وعلى أية حال لقد تصرف السادات بلباقة، حيث إن تلك المشادة العابرة والعنيفة طواها النسيان بعد خمس دقائق».

انتهى ما رواه الملك الحسن، لكن للقصة تفاصيل أخرى سجلها وكتبها الكاتب الصحفى البارز« أمير طاهرى» أحد أبرز الخبراء فى الشئون الإيرانية.

تناول« أمير طاهرى» فى دراسته الهامة قصة السادات والشاه والعلاقة السرية مع أمريكا وإسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ إلى ما بعد سفر السادات إلى القدس.

وحسب ما نشرته مجلة« المجلة»(١٢ مارس ١٩٨٣) كتب« امير طاهرى» يقول: فى الأساس كان الشاه يأمل فى الاجتماع بعبد الناصر فى قمة الرباط لإجراء مصالحة معه بطلب من العاهل السعودى الراحل الملك فيصل إذ إن هزيمة حزيران يونيو ١٩٦٧ قد هدأت من اندفاع عبد الناصر بعض الشيء حسبما ذكره بعض المستشارين للشاه واعتبر الشاه آنذاك أن الوقت حان لاستئناف العلاقات مع مصر وتوطيدها بعد قطيعة ونزاعات وخلافات مريرة، دامت عقدا كاملا من الزمن».

كان الشاه يكره عبد الناصر شخصيا ومثل هذه العواطف الشخصية كانت تلعب دورا كبيرا فى صياغة أو تكوين اراء الشاه وحكمه الشخصى على الزعماء والمسئولين الذين كان يتعامل معهم.

وعندما أعلن عبد الناصر أنه لن يحضر مؤتمر الرباط تنفست وزارة الخارجية الإيرانية

الصعداء - حسبما يقول أمير طاهرى - إذ إن كراهية الشاه لعبد الناصر كانت ستهدد أعمال المؤتمر بالفشل فى حال حضوره، وقد عقدت بعد الحريق المتعمد الذى شب فى المسجد الأقصى بالقدس المحتلة.

فى هذه الأجواء سافر الشاه إلى الرباط لحضور المؤتمر ،هناك ألمح الملك الراحل فيصل إلى أن الشاه يمكن أن يجتمع بنائب الرئيس المصرى أنور السادات لتحسين العلاقات بين البلدين، وهى عملية كانت قد بدأت بفضل الوساطة السعودية، وكان الشاه حذرا متربصا للفرص. وفى الجلسة الختامية للمؤتمر ألقى خطابا طويلا عرض فيه تقديم المساعدات المالية والدبلوماسية إلى مصر المهزومة شرط أن تكون القاهرة قد تعلمت «أمثولتها».

واستنادا إلى الدبلوماسيين الإيرانيين الذين حضروا الجلسات المغلقة للمؤتمر فإن الجميع شعروا أن الشاه كان يحاول فى الواقع تصفية الحسابات القديمة مع عبد الناصر الذى كان متغيبا ومعتل الصحة!

عند ذاك نشبت العاصفة - كما يقول أمير طاهرى - إذ انتحب السادات، واقفا وقائلا: إن مصر لا تستجدى أى إحسان لكون الشرف العربى يأبى ذلك، إن الشعب المصرى وحكومته سيتحملان عبء الهزيمة ومسئولية النصر فى المستقبل وحيدين إذا اقتضى الأمر.

ثم التفت السادات ناحية الشاه وألقى على مسامعه شعرا بالفارسية من تأليف «سعدى» الشاعر الإيرانى الذى عاش فى القرن الثانى عشر فيه ما معناه:

«دع بعض بثمار أعماله وعرق جبينه لا حاجة أن يستجدى حاتم طى».

وأدرك الشاه وأعضاء الوفد الإيرانى المرافق له ماذا كان يقصد السادات من كلامه، وإذا بالشاه ينتفض ويقف بشكل مفاجىء ويقول لرئيس المؤتمر الملك الحسن الثانى:

«إن هذا المؤتمر منتدى شعرى، لو كنت أعلم أن بيننا هذا شعراء لكنت قد جلبت بعضا منهم معى من إيران لأن لدينا الكثيرين منهم».

وبدا الأمر بالنسبة إلى الحاضرين وكأنه صدع جديد فى العلاقات المتوترة بين إيران ومصر ولم يدر بخلد أحد أن هذه المواجهة ستكون على العكس بداية لصداقة جديدة طويلة الأمد بين الشاه والسادات!

وحسبما يقول الكاتب الصحفى الإيرانى «أمير طاهرى» فإنه عندما عاد الشاه إلى المقر المخصص له«وبخ وزير خارجيته» إرد شير زاهدى على عدم إعلامه مسبقا بأن السادات خطيب مفوه بالفارسية ويجيد الشعر القديم وقال له:

لابد أنه - أى السادات - رجل مثير للاهتمام فى أى حال - قم بترتيب الاجتماع الذى طلبه أخونا الملك فيصل.

و بالفعل اجتمع السادات والشاه بعد ساعات قليلة أولا بحضور الملك فيصل وبعد ذلك اقتصر عليهما لمدة ساعتين من دون مستشاريهما، وإن لم يكن ما حدث بينهما حبا من النظرة الأولى ،فقد كان بالتأكيد من المعركة الأولى!!

لقد رصد الكاتب الكبير«أحمد بهاء الدين» بدقة بالغة صورة كاملة لعلاقة السادات وشاه إيران، قال السادات لبهاء فى أحد لقاءاتهما:

أتعرف أننى أعتقد من زمان أن مثلى الأعلى بين كل زعماء العالم الثالث هو شاه إيران.

ويضيف«بهاء» :كان السادات يسألنى بروح من الإعجاب الهائل عن شخص لم يكن يعرفه فهو لم يره إلا فى مؤتمر الرباط أيام عبد الناصر وتشاجرا وتبادلا الإهانات فى جلسة واحدة عامة للمؤتمر وانتهى الأمر!

وعندما سأل«بهاء» عن سر هذا الإعجاب الشديد بالشاه قال السادات:

«زعماء عدم الانحياز بتوعك الذين ملأوا الدنيا ضجيجا منذ سنوات نهرو، ونكروما وسوكارنو وحتى عبد الناصر وحتى تيتو اللى لسه عايش.. أين هم الآن راحوا فين؟! اللى مات واللى انهزم واللى راح فى انقلاب واللى انكمش

داخل حدوده زى تيتو، واحد فقط من هذا الجيل وهذه المرحلة كلها باقى على مقعده بكل سلطانه وهيلمانه والدنيا تسعى إليه هو «شاه إيران» والسبب بسيط، كل هؤلاء تصوروا أن فى العالم قوتين عظميين هما روسيا وأمريكا وحاولوا التعامل معهما على قدم المساواة ، والحقيقة غير ذلك تماما، فهناك دولة عظمى واحدة هى أمريكا، وروسيا ليست حتى دولة عظمى ثانية إنها تاتى بعد أمريكا بعشر أو بعشرين درجة، شاه إيران هو الوحيد الذى أدرك هذه الحقيقة قام عمل إيه قعد على حجر أمريكا!

ومسك فى هدومها واديك شايف: كل أصحابك راحوا والشاه عملتله أمريكا كل اللى هوه عايزه!

لقد جرى هذا الحوار بين بهاء والسادات فى أوائل عام ١٩٧٤ وعقب مقابلة بهاء لشاه إيران ونشر بهاء لما جرى بينهما على صفحات الأهرام.

وقبل ذلك بسنوات طويلة وكان السادات أيامها رئيسا لمجلس الامة سافر على رأس وفد مصرى كبير إلى كوناكرى عاصمة غينيا لتهنئة الرئيس سيكوتورى بالاستقلال، وفى طريق العودة وفى الطائرة دعا السادات «بهاء» للجلوس معه وقال السادات له:

إننى أريد أن أقضى أسبوعا فى مكان لا أسمع فيه بعد أيامنا فى«كوناكرى» كلمة واحدة من كلمات« استعمار» وإمبريالية وسود وبيض وتفرقة عنصرية وانا ذاهب إلى النمسا، إن النمسا أجمل مكان فى نظرى وريف النمسا والطبيعة الغنية الخضراء هناك كأنها علاج بالنسبة لى».

ولم يتغير رأى السادات فى إعجابه بالنمسا حتى بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية ،وفى إحدى المرات وبعد عودته من زيارة «كرايسكى» مستشار النمسا التقى مع بهاء الذى قال له فى شىء من الحدة عندما وصل الكلام بين السادات وبهاء عن الانفتاح الاقتصادى:

قال السادات: هوه كرايسكى مش اشتراكى ورئيس الحزب الاشتراكى فى النمسا؟! مش حكومة النمسا اشتراكية؟

قال بهاء: نعم!

ورد السادات بنفس الصوت المرتفع الضيق الصدر:

انت مش رحت النمسا؟! شفت الفراخ المشوية اللى بياكلوها فى المطاعم الريفية خارج فيينا الفرخة فيها أد إيه؟! أهو أنا عايز أعمل مصر اشتراكية زى اشتراكية النمسا ويبقى الناس تاكل فراخ زى فراخ النمسا!

●●

ولا تزال حكايات السادات مستمرة!

رشـــاد كامـــل